

عالم وحكيم



" لقد سبقت اختراعات جاغادس شندرا بوز اختراعات ماركوني."

ما أن سمعت هذه الملاحظة حتى اقتربت من مجموعة من أساتذة الجامعة المنهمكين في نقاش علمي. أعتذر إن كان الفخر العرقي هو ما دفعني للاقتراب منهم، لكنني لا أنكر رغبتني العميقة في أن أرى الهند تلعب دورا رئيسيا في العلوم الطبيعية، لا في علوم ما وراء الطبيعة وحسب. وقد متسائلا:

"ماذا تقصد بذلك يا سيدي؟"

فتفضل الأستاذ بالتفسير قائلا: "لقد كان بوز المخترع الأول للناقل الترابطي اللاسلكي ولجهاز تحديد مدى انكسار الأمواج الكهربائية. لكن العالم الهندي لم يستغل اختراعاته لأغراض تجارية، بل حول انتباهه على الفور من العالم غير العضوي إلى العالم العضوي. واختراعاته التي أحدثت تغييرا جذريا في عالم النبات تفوق ما حققه من انتصارات باهرة في عالم الطبيعة."

شكرت الأستاذ الكريم بأدب، فأضاف: "العالم الكبير هو أحد زملائي الأساتذة في كلية الرئاسة." وفي اليوم التالي زرت الحكيم في منزله القريب منا في شارع غوربار، وكنت قد أعجبت به منذ زمن بعيد بالرغم من عدم محاولتي الاتصال به نظرا لسمو مركزه. وقد حيّاني عالم النبات المعتزل بمودة ولطف. لقد كان في الخمسين من عمره؛ وسيم الطلعة، مفتول العضلات، كث الشعر، عريض الجبهة، ذا عينين حالمتين. وكانت الدقة في تعبيره تتحدث بفصاحة عن طبيعته العلمية المتأصلة في نفسه. فحدثني قائلا: "لقد عدت حديثا من بعثة إلى جمعيات علمية في الغرب أبدى أعضاؤها اهتماما فائقا باختراعاتي للأجهزة والآلات الدقيقة التي تبيّن وحدة الحياة الكلية التي لا تتجزأ⁽¹⁾. فجهاز كريسكوغراف⁽²⁾ بوز يكبر الأشياء عشرة ملايين مرة. وبما أن الميكروسكوب العادي لا يستطيع تكبيرها أكثر من بضعة آلاف مرة، فقد دفع الكريسكوغراف علم الأحياء خطوات للأمام وفتح آفاقا علمية لا حصر لها.

قلت: "لقد قمت بالكثير يا سيدي للتقريب السريع بين الشرق والغرب عن طريق

الوسائل العلمية الموضوعية."

فأجابني: "لقد تلقيت العلم في جامعة كيمبردج، وكم هي رائعة طريقة الغرب في إخضاع النظريات لبوتقة الفحص الدقيق! وهذه الطريقة التجريبية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً مع موهبة التأمل الباطني التي هي ميراثي الشرقي. وباستخدام الوسيطتين معا تمكنت من وضع نهاية لصمت الطبيعة الذي أعاق التواصل معها لدهور سحيقة. فبيانات الكريسكوغراف – الذي استنبطته – تبرهن لأكثر المتشككين أن النبات يملك جهازاً عصبياً حساساً، وحياة عاطفية متباينة. فالحب والبغض والفرح والخوف واللذة والألم والاستثارة والذهول، واستجابات أخرى عديدة مشابهة، موجودة في النبات مثلما هي موجودة في الحيوان." فقلت: "إن خفقة الحياة الفريدة في سائر المخلوقات كان ينظر إليها من منظار شعري قبل مجيئك يا أستاذ! لقد عرفت قديساً كان يتحاشى قطف الورود بقوله "كيف يمكنني أن أجرؤ على تجريد نبتة الورود من جمالها بقطفي اللفظ لورودها؟" وها قد تحققت كلماته التعاطفية حرفياً باكتشافاتك!" فقال: "الشاعر هو صديق الحقيقة الأليف، أما العالم فيحاول الاقتراب من نفس تلك الحقيقة بطرق غير مناسبة. تعال يوماً إلى مختبري وشاهد بنفسك البرهان القاطع لجهاز الكريسكوغراف."

قبلت الدعوة بامتنان وودعته على أمل اللقاء. وقد سمعت فيما بعد أن عالم النبات قد ترك كلية الرئاسة وينتوي إنشاء مركز للبحوث في كلكتا.

حينما افتتح معهد بوز حضرت حفلة تكريسه. وقد تجول منات المهتمين المتحمسين في أرجاء المعهد، وقد أعجبت أيما إعجاب بالذوق الفني الرفيع والرموز الروحية لمقر العلم الجديد، وقد لاحظت أن بابه الأمامي كان عبارة عن تحفة أثرية قديمة من معبد ناء. وخلف بركة اللوتس⁽³⁾ كان شكل منحوت لامرأة تحمل في يدها مشعلًا دلالة على احترام الهند للمرأة كرافعة للنور الأزلي. وكان في الحديقة معبد صغير مكرّس للجوهر الفرد المحتجب خلف الظواهر الطبيعية. أما فكرة التجريد الإلهي فقد كان يرمز إليها بعدم وجود تمثال فوق المذبح. وكان حديث العالم بوز في تلك المناسبة العظيمة جليلاً كما لو كان صادراً من شفاه أحد القديسين القدامى الملهمين، وقد ملأت مهابته قاعة الاجتماع الحاشدة، وقال:

"اليوم أكرّس هذا المعهد ليس كمعمل علمي وحسب، بل كمعبد أيضاً. ففي خلال أبحاثي اهتديت دون شعور إلى المنطقة الفاصلة بين العلوم الطبيعية وعلم وظائف الأعضاء. ولاندعاشي وجت أن الخطوط الفاصلة آخذة في التلاشي وقد برز مكانها الترابط الوثيق بين مملكتي الأحياء والجماد. ولم تبد لي المادة غير العضوية جامدة على الإطلاق، بل رأيتها تعج بالحياة والحركة بفعل قوى لا حصر لها.

"كما تبين وجود تفاعل شامل يضم المعدن والنبات والحيوان تحت قانون مشترك، وكلها أبدت نفس ظاهر الإرهاق والكآبة، مع إمكانية الشفاء والابتهاج، وكذلك عدم

الاستجابة الدائمة المقترنة بالموت. وإذ غمرتني الدهشة لهذا التعميم الهائل قمت والأمل يملأ قلبي بالإعلان عن نتائجي المعززة بالتجربة والبرهان أمام الجمعية الملكية. لكن علماء وظائف الأعضاء الحاضرين نصحوني بحصر تجاربي في البحوث المادية التي كان نجاحي فيها مؤكداً، بدلا من التجاوز والتعدي على اختصاصهم. وقد أدركت أنني دخلت عن غير قصد مجال طائفة محددة من العلماء دون مراعاة لتقاليدها، فأسأت إليها.

"وأدركت أيضا أن هناك تعصباً لاهوتياً لاشعورياً يخلط بالجهل بالإيمان. فأحيانا ننسى أن الذي أحاطنا بالغاز وأسرار الخلق الدائمة البرزوخ هو نفسه الذي غرس في نفوسنا الرغبة في البحث والتنقيب والتساؤل والمعرفة. وبعد سنوات عديدة من إساءة فهم الآخرين لي بدأت أدرك أن حياة طالب العلم مليئة فعلا بالجهد المتواصل والكفاح المستمر، وأن من واجبه التضحية بحياته عن طيب خاطر، دون النظر إلى ربح أو خسارة، نجاح أو فشل.

"ومع مرور الوقت اعترفت بنظرياتي ونتائجي كبرى الجمعيات العلمية في العالم، وأدركت أهمية مساهمة الهند في دنيا العلوم⁽⁴⁾. فهل يمكن لشيء صغير أو محدود أن يرضي العقل الهندي؟ وهكذا فإن الهند بتقاليدها الحية وقدرتها العجيبة على تجديد شبابها قامت بترتيب أوضاعها من خلال تحولات وتعديلات لا حصر لها. ولقد ظهر نفر من الهنود الذين نبذوا المكافآت الوقتية العاجلة والمغرية من أجل تحقيق أسمى مثل الحياة، ليس من خلال الزهد السلبي، بل بالكفاح الفعال والمجدي. فالضعيف العاجز الذي يهرب الكفاح ولا يحرز مكسبا ليس عنده ما يزهده به. أما الشجاع الذي عمل وظفر فهو القادر على إغناء العالم بثمار تجاربه المظفرة.

"إن ما يقوم به معمل بوز هو لإثبات استجابة المادة. فالكشوف غير المتوقعة في حياة النبات فتحت آفاقا واسعة من البحث في الطبيعة وعلم وظائف الأعضاء والطب والزراعة وفي علم النفس أيضا. والمشاكل التي كانت تعتبر لا حلول لها قد دخلت الآن في مجال البحث التجريبي.

"لكن ذروة النجاح لا يمكن بلوغها دون الكثير من التدقيق والعناية. ومن هنا جاء تصميمي لمجموعة كبيرة من الآلات والأجهزة الفائقة الحساسية التي ترونها الآن في صناديقها في مدخل البيت. فهي تحكي لكم قصة الجهود الطويلة المتواصلة لاختراق حجب الوهم والنفوذ إلى الحقيقة غير المنظورة. كما تبين أيضا الكد والمثابرة وسعة الحيلة للتغلب على القصور البشري. فجميع العلماء المبدعين يعلمون أن المختبر الحقيقي هو العقل الذي بواسطته يتخطون الأوهام ويكتشفون نواميس الحقيقة.

"المحاضرات التي سنتلقى هنا لن تكون تكرارا لمعرفة قديمة، بل ستتحدث عن اكتشافات جديدة تعرض للمرة الأولى في هذه القاعات. وعن طريق النشر المنتظم

لأعمال المعهد فإن مساهمة الهند في المجال العلمي ستصل إلى كل مكان في العالم
وستصبح ملكاً مشاعاً للجميع، إذ لن نحتكر هذه المعرفة، فروح ثقافتنا القومية
تحفزنا لعدم تدنيس المعرفة باستغلالها في المنافع الشخصية.

"وأمنيته الأخرى هي أن تصبح مرافق هذا المعهد متاحة للعاملين في المجال العلمي
من كافة أنحاء العالم، وبذا أوصل التقليد العريق لبلادي الهند التي رحبت جامعاتها
القديمة في تاكسيلا ونالندا منذ ٢٥ قرناً بطلاب العلم من سائر أقطار العالم.

"ومع أن العلم ليس مصدره الشرق أو الغرب، بل هو عالمي في شموليته، إلا أن
الهند قادرة بكيفية خاصة على المساهمة بحصة كبيرة فيه.^(٤) فالخيال الهندي المتوقد
والقادر على استخلاص أنظمة جديدة من كومة من المعطيات المتباينة ظاهرياً، تضبطه عادة
التركيز الذهني التي تمنح العقل المقدر على البحث عن الحقيقة بصبر لا متناه."

اغرورقت عيناى بالدمع لكلمات العالم الختامية. أليس الصبر حقاً هو التعبير المرادف
للهند؟ ذلك الصبر الذي حير الزمن والمؤرخين على حد سواء!

زرت مركز الأبحاث ثانية بعد يوم الافتتاح، وقد قادني عالم النبات العظيم طبقاً لوعده
إلى معمله الهادئ قانلاً:

"سأقوم بربط الكريسكوغراف بنبات السرخس هذا وسيكون التكبير هائلاً. فلو أمكن تكبير
هذه الحلزون في سيره البطيء بنفس النسبة لظهر وهو يجري كالقطار السريع!"

ثبت بصري بانتباه على الشاشة التي عكست ظلال السرخس الكبيرة، فظهرت
بوضوح حركات حية دقيقة. وكان النبات ينمو ببطء كبير أمام عينيّ الذاهلتين. وحينما
لمس العالم طرف السرخس بقضيب معدني صغير توقف نموه فجأة ثم استأنف هذا
النمو لمجرد إبعاد القضيب عنه. وقال بوز لافتاً:

"تلاحظ أن كل تداخل خارجي مهما كان بسيطاً يضر بالأنسجة الحساسة. انظر
فسأناوله الآن الكلوروفورم المخدر ثم أعطيه الترياق."

أوقف تأثير الكلوروفورم كل نمو فيما أعاد إليه الترياق علامات الحياة. وقد سررت
بما رأيته على شاشة الكريسكوغراف أكثر بما لا يقاس من مشاهدة أية رواية سينمائية."

وأدخل صديقي - في دور الشرير هنا - آلة حادة في جزء من السرخس فبدأ الألم على
شكل خفقات تشنجية. وحينما غرز نصلاً مرهفاً في الجذع اضطرب الظل بعنف ثم
صمت بحدوث الموت النهائي. وابتسم جاغادس وهو يروي تفاصيل المحاولة المنقذة للحياة:

"لقد أفلحت بنقل شجرة ضخمة عن طريق تخديرها. فجبابرة الغابة يموتون عادة بعد
تحريكهم مباشرة. وقد أثبتت الرسوم البيانية التي حصلت عليها بواسطة جهازي
الدقيق أن للأشجار جهازاً دورياً، وأن حركة العصارة فيها تشبه ضغط الدم في أجسام
الحيوانات. ولا يمكن تفسير صعود العصارة بالأساليب الآلية التي يقول بها العلماء
كجذب القنوات الشعرية، لكن الكريسكوغراف تمكن من تعليل هذه الظاهرة كمنشط

للخلايا الحية. فالت موجات التقلصية تصدر عن أنبوبة اسطوانية تمتد إلى لب الشجرة وتعمل كقلب فعلي! وكلما تعمقنا في الإدراك أدهشنا الدليل بأن نظاما مشتركا يربط سائر المخلوقات رغم طبائعها المتباينة."

:وأشار العالم العظيم إلى آلة أخرى من استنباطه، قال:

"سأعرض لك بعض التجارب على قطعة من التنك الصفيح. فالمعادن تستجيب إما بكيفية مغايرة أو ملائمة للدوافع، وسوف تسجل علامات الحبر الانعكاسات المختلفة." تطلعت بانتباه تام إلى الرسم الذي سجل الموجات المميزة للتركيب الذري. وحينما استخدم الأستاذ الكلوروفورم على التنك توقفت الذبذبات ثم استأنفت حركتها لدى استعادة المعدن ببطء حالته الطبيعية. وعندما وضع رفيقي مادة كيميائية سامة دوتت الإبرة على الرسم في نفس الوقت نهاية التنك، إشارة إلى موته. ثم واصل حديثه قائلا: "لقد أثبتت أجهزة بوز أن المعادن كالفولاذ المستعمل في المقصات والآلات الأخرى هي عرضة للكلال، وأنها تسترد نشاطها بعد فترة دورية من الراحة والاستجمام، وأن نبض الحياة في المعادن الأخرى يتأذى بشدة ويخمد كلية باستخدام التيارات الكهربائية أو بتسليط الضغط الثقيل."

أدرت نظري في الغرفة إلى الاختراعات العديدة التي كانت أبلغ دليل على عبقرية فذة ومهارة لا تعرف التعب.

قلت له: "للأسف يا سيدي أن النمو الزراعي لا ينتفع على نطاق واسع بأجهزتك الرائعة. ألا يمكن استخدام بعضها في تجارب معملية تبين مدى تأثير الأنواع المختلفة من الأسمدة على نمو النبات؟"

أجابني: "هذا صحيح، فالأجيال القادمة ستستخدم أجهزة بوز في تطبيقات لا حصر لها. العالم نادرا ما يعرف المكافأة العاجلة، ويكفيه الرضاء الذي يحس به في تقديم خدمة نافعة وخلاقة للإنسانية."

وبامتنان قلبي عميق للحكيم الذي لا يعرف للتعب معنى ودعته وأنا أقول بيني وبين نفسي: "هل من المعقول أن تقف خصوبة نبوغه المدهشة عند حد؟"

ولم يتضاءل عطاؤه مع مرور الزمن، فبعد أن استنبت جهازا دقيقا ومعقدا يدعى جهاز تخطيط القلب (كارديوغراف) الرنان، واصل بوز أبحاثا أخرى في نباتات هندية عديدة، ونتيجة لذلك فقد ظهرت عقاقير ذات خواص مفيدة لم تكن متوقعة. وجهاز تخطيط القلب مصمم بدقة لا تخطئ، ويمكن بواسطته إظهار جزء من مائة من الثانية على الرسم البياني. وتقيس التسجيلات الرنانة الخفقات المتناهية الدقة في تركيب بنية النبات والحيوان والإنسان. وقد تنبأ عالم النبات العظيم بأن استخدام الكارديوغراف سيساعد مستقبلا على إجراء التشريح على النبات بدلا من الحيوان، وقد أشار إلى ذلك قائلا:

"لقد أظهرت النتائج الخاصة بتأثير الدواء الذي أعطي لنبات وحيوان تطابقا مدهشا. فكل شيء في جسم الإنسان له مثل في النبات، وسيساعد إجراء التجارب على النبات على تقليل آلام البشر والحيوان."

وبعد سنوات أثبت علماء آخرون صحة أبحاث بوز، فقد نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالا عن العمل الذي تم في سنة ١٩٣٨ في جامعة كولومبيا كما يلي:

"لقد أصبح من المؤكد في السنوات القليلة الماضية أنه لدى الأعصاب رسائل بين الدماغ وأقسام أخرى من الجسم، تتولد دفعات كهربائية ضئيلة. وقد قيست هذه الدفعات بأجهزة غالغانوميتر دقيقة وتم تكبيرها ملايين المرات بأجهزة تكبير حديثة. ولغاية الآن لم توجد بعد طريقة مقنعة لدراسة سير الدفعات في الألياف العصبية للإنسان والحيوان بسبب السرعة الفائقة التي تنطلق بها تلك الدفعات.

"وقد قرر الدكتوران س. كول و هـ. ج. كورتس أنهما اكتشفا أن الخلايا الطويلة المفردة لنبات (نيتلا) الذي ينمو في الماء النقي، والذي غالبا ما يستعمل في أوعية السمك الذهبي، تماثل في طبيعتها الألياف العصبية المفردة. وعلاوة على ذلك فقد اكتشفا أن إثارة أعشاب النيتلا تحدث موجات كهربائية تماثل من كل ناحية، باستثناء السرعة، الألياف العصبية في الحيوان والإنسان. وقد توصل علماء كولومبيا إلى هذا الإكتشاف كوسيلة لالتقاط صور متحركة بطيئة لسير الدفعات الكهربائية في الأعصاب. ولهذا فإن نبات النيتلا قد يصبح حجر رشيد آخر يزيح الغموض عن أسرار الطبيعة المحفوظة بعناية، والقريبة من الحد الفاصل بين العقل والمادة."

المصدر: مذكرات يوجي - السيرة الذاتية

بقلم برمهنا يوغاندا

ترجمة حديثة منقحة: محمود عباس مسعود

الحواشي

- (١) "العلم كله فانق، ولو لم يكن كذلك لاندثر. وعلم النبات يكتسب الآن النظرية الصحيحة: فألهة براهما المنجسدون سيصبحون الكتب المقررة للتاريخ الطبيعي." - أمرسون
- (٢) من الكلمة اللاتينية (كريسير) ومعناها يزيد أو يضاعف.. وقد منح بوز في سنة ١٩١٧ لقب (فارس) تقديرا لاختراعه لهذا الجهاز ولأجهزة أخرى.
- (٣) تعتبر زهرة اللوتس في الهند رمزا مقدسا منذ القدم. وترمز أوراقها المتفتحة إلى تمدد الوعي الروحي. ونموها من أصلها الطيني يحمل أملا روحيا طيبا.
- (٤) "إننا نثق... أنه لا يمكن لأي قسم من الدراسة، خصوصا الإنسانيات، أن يكون مكتلا دون اختصاصي ضليع في علوم الهند. كما نثق أيضا أن الجامعة التي تهدف إلى إعداد خريجها للعمل النافع يجب أن تختار من بين أساتذتها عالما متمكنا من الثقافة الهندية." - مقتطفات من مقال للبروفيسور و. نورمان في جامعة بنسلفانيا، نشر بعدد مايو ١٩٣٩ من دورية المجمع الأمريكي للجمعية العلمية.
- (٦) كان التركيب الذري للمادة معلوما تمام العلم لقدماء الهنود. وأحد أقسام الفلسفة الهندية الستة [فيزيسكا] المشتق من الكلمة السنسكريتية [فيزياس] التي تعني الذات الذرية. وكان (أولوكيا) أحد مفسري الفيزيسكا الأوائل، ويعرف أيضا باسم كانندا أي "لاقم الذرة"، وكانت ولادته منذ ٢٨٠٠ سنة تقريبا. وفي مقال في مجلة الشرق والغرب، عدد نيسان/إبريل سنة ١٩٣٤، نشر ملخص المعرفة العلمية للفيزيسكا على النحو التالي:

"وبالرغم من أن النظرية الذرية الحديثة تعتبر فتحة علميا جديدا، لكن كانندا [القم الذرة] شرحها بدقة مثيرة تبعث على الإعجاب منذ زمن بعيد. فالكلمة السنسكريتية (أنوس) يمكن ترجمتها إلى [ذرة] أي لا يمكن تقسيمها أو تجزئتها بالمعنى الحرفي الإغريقي. وهناك شروح علمية لرسالة الفيزيكا وضعت قبل الميلاد وتشمل: (١) تحرك الإبرة نحو المغناطيس، (٢) دورة الماء في النبات، (٣) الأثير الذي لا حركة ولا شكل له كأساس لنقل القوى الشفافة، (٤) الطاقة الشمسية كمصدر لضروب الحرارة الأخرى، (٥) الحرارة كأساس للتغيير الذري، (٦) قانون الجذب الذي يحدث بسبب الصفة الكامنة في ذرات الأرض، والتي يعطيها قوتها الجاذبية أو الدفع التحتي، (٧) الطبيعة الحركية لكل أنواع الطاقة؛ فالسببية متصلة دوما في استهلاك الطاقة أو في إعادة توزيع الحركة، (٨) التحلل الكوني بسبب تفكك الذرات، (٩) الإشعاعات الحرارية الضوئية المنتهية الصغر والتي تنتقل في جميع الاتجاهات بسرعة لا يتصورها أو يدركها العقل (وهي النظرية الحديثة للأشعة الكونية)، (١٠) نسبية الفضاء والزمن.

"وتعزو الفيزيكا أصل الكون إلى الذرات الخالدة في طبيعتها، أي إلى خاصياتها الختامية. وهذه الذرات كانت تعتبر ذات حركة تموجية غير منتظمة... والاكتشاف الحديث بأن الذرة هي نظام شمسي مصغر ليس جديدا على فلاسفة الفيزيكا القدماء الذين اختزلوا أيضا الزمن إلى فكرته الحسابية بوصف أصغر وحدة للزمن (كالا) بأنها الفترة الزمنية التي تستغرقها الذرة لقطع وحدتها الذاتية في الفضاء."

(٦) الأتسودة (ساما) الواردة في شعر طاغور هي إحدى الفيدات الأربع. أما باقي الفيدات الثلاث الأخرى فهي ريغ، ياجور، وأتارفا. وتشرح النصوص المقدسة طبيعة براهما الإله الخالق الذي هو (أتما) أو النفس في الإنسان. الفعل من براهما هو (براه) أي يتمدد، يتسع، مما يعبر عن المفهوم الفيدي للقوة المقدسة ذات النمو الفوري. وقد قيل أن الكون كنسيج العنكبوت، وأنه ينبثق من كيان الله. والامتزاج الواعي لاتما مع البراهما أو اتحاد النفس بالروح الإلهي هو جوهر الفيدات. والفيدانتا التي تلخص الفيدات ألهمت كثيرا من مفكري الغرب. فقد قال المؤرخ الفرنسي فيكتور كوسان: "حينما نطالع بتمعن خوالد الشرق الفلسفية - لا سيما الهندية منها - نقف على الكثير من الحقائق العميقة والضخمة... تضطربنا للإحناء أمام الفلسفة الشرقية. ونرى في هذا المهد العريق للجنس البشري المنشأ الأصلي لأسمى ضروب الفلسفة."

وشليجل أيضا لاحظ: "إن أسمى الفلسفات الأوروبية ذات الطابع المثالي بحسب ما وضعها فلاسفة الإغريق تظهر - لدى مقارنتها بالحياة والنشاط الزاخرين للمثالية الشرقية - كبصيص ضئيل من الضوء أمام فيض غامر من نور الشمس."

والفيدات في الأدب الهندي العزيز هي وحدها النصوص التي لا تعزى إلى مؤلف. فالريغ فيدا (٩٠: ١٠-٩٠) تعزو للأناسيد أصلا إلهيا، وتخبرنا (٣٩: ٣-٢) أنها انحدرت من العصور القديمة وانتقلت إلى لسان جديد. وإذ يتوصل الحكماء والفلاسفة إلى فهم جوهرها جيلا بعد جيل، فإن الفيدات تعتبر خالدة أبد الدهر

والفيدات أيضا هي إلهامات صوتية (يسمها الحكماء مباشرة). فهي بالضرورة أدب الإنشاد والإلقاء. ولهذا لم تدون - على مدى آلاف السنين - المائة ألف بيت من الشعر في الفيدا، بل كان تناقلها يتم شفاهة عن طريق الكهنة البراهمة. فالورق كالحجر كلاهما يخضع لعناصر الزمن الطامسة الماحية، أما الفيدات فقد غالبت الزمن لأن الحكماء أدركوا أن العقل أسمى من المادة وأضمن طريقة لنقل المعرفة. فهل من شيء يفوق "ألواح القلب" حفظا وتخليدا!

وبملاحظة الترتيب الخاص الذي ينتظم كلمات الفيدا، وبمعونة قواعد صوتية ذات صلة بالأصوات والأحرف، وباستعمال طرق حسابية دقيقة لمعرفة النصوص المستظهرة، تمكن البراهمة منذ عهد بعيد من الاحتفاظ بالنقاوة التامة للفيدا. فكل مقطع من مقاطع الكلمة الفيديعية معنى فريد وتأثير أكيد.